

الفصل السابع



دور المرّبين في تطوير الموهبة

«مالم تكتشف موهبة محدّدة لدى الطّفل (وتمدّه بالوسيلة الصحيحة يُعبّر عن موهبته)، فقد تظل الموهبة غير مكتشفة».

وتوم شيف، كاتب وصحفي أمريكيّ. من أشهر مقالاته «كيف تعرف أن طفلك مبكر النّبوغ؟»

سؤال رئيس

- ما الذي ينبغي فعله للارتقاء بالموهبة إلى مستويات استثنائية؟

يبحث مدربو الألعاب الرّياضيّة عن الموهبة بين الشّباب كافة؛ أملاً في استقطاب كثير من ذوي المواهب الكامنة، والعمل على تحفيز هذه المواهب وتمييزها. وبعبارة أخرى، فهم يمارسون عمل مستكشفي المواهب بالنسبة إلى هؤلاء. لكن هذا البحث الحديث، في الحقيقة، لا يظهر واضحاً فيما يتعلّق بالمجال الأكاديميّ؛ إذ تظلّ الموهبة غالباً غير مُكتشفة في الصّفوف؛ نظراً إلى إغفال المعلّم للاختلافات في القدرة، وعدم تفكيره في سبب غورها وتعرّف كنهها. يعدّ الاهتمام بالوصول إلى البراعة والإتقان في المجال الأكاديميّ هدفاً نبيلًا ما دام الطّالب لم يحقّق ذلك بعد، لكنّ البراعة ليست هدفاً أسمى بالنسبة إلى جميع الطّلاب الذين بلغوها أو تخطّوها. فالبراعة هي التّعلّم وفتحاً لمستوى الصّف. ولكنّ أيّ مدرّب فريق رياضيّ لا يكتفي بأنّ تكون البراعة هي أقصى ما يصبو إليه لاعبو الفريق، بل الفوز أيضاً. واستناداً إلى ذلك، كيف يمكن للمرّبين تطوير المواهب على نحو أكثر فاعلية مقارنة بما

يصنعه المدربون؟ يجب على المعلمين والقادة التربويين إطلاق عملية بحث عن الموهبة، ثم العمل على تطويرها لتصل إلى كامل إمكاناتها.

يعتمد تطوير الموهبة أولاً على إيجاد دليل يشير إلى الاهتمام بأحد مجالات الموهبة. ولذلك، على كل معلم، ومرشد، ومدير، البحث عن الاهتمامات، وحتى شغفه، بوصفها دليلاً مبكراً على الموهبة، مع الحرص على التحدث إلى الطالب بشأن اهتماماته وشغفه بموضوع ما. بعدئذٍ، تأتي الخطوة اللاحقة، وهي مطابقة هذه العلامة المبكرة على الاهتمام و/ أو الموهبة بالفرص، وقد تكون هذه الفرص منافسات، أو مسابقات، أو مجموعات من الأطفال الذين يتشاركون في الاهتمامات، أو مجموعات عنقوديّة تضم الطلاب ذوي مستويات الاستعداد المتشابهة، الذين يمكنهم التّقدّم ما داموا مستعدّين لفعل ذلك. وقد يفكر المربون أيضاً في ترشيح الطالب لبرنامج عطلة نهاية الأسبوع أو البرامج الصيفيّة؛ بغية مساعدته، وإيجاد أقران له.

نموذج الإثراء المدرسيّ الشّامل لتطوير المواهب

قسّم نموذج الإثراء المدرسيّ الشّامل The Schoolwide Enrichment Model (Renzulli & Reis, 1997) خبرات التّعلّم إلى أنماط ثلاثة يشمل النمط الأوّل الطلاب كافة، وقد تكون خبرات التّعلّم فيه متحدّثاً ضيفاً، أو رحلة ميدانيّة، أو مقطعاً من فلم، أو أيّ فرصة أخرى تتيح للطلاب التّعرّض لفكرة أو مهنة جديدة، أو موضوع حديث. ولا يشمل ذلك وجود توقّعات بحفز الطلاب كافة للمضيّ قدماً في هذا الموضوع، لكنّ الخبرة قد تثير اهتماماً واحداً أو أكثر من الشّباب. أمّا النمط الثّاني فيشتمل على بناء المهارات، التي قد تكون نقديّة، أو فنيّة، أو مهارات التّفكير الإبداعيّ، أو مهارات حلّ المشكلات، أو مهارات البحث، أو المهارات اللاّزمة لبعض النّتائج المحدّدة.

في حين يتعلّق النمط الثّالث بالطلاب الذين لديهم ميول إلى التّقصيّ والبحث المعمّق.

تناقش إحدى الخبيرات (سالي ريز Sally Reis) أهمية العاطفة في تطوير الاهتمامات المستمرة مدى الحياة. غالبًا ما يبدأ الموضوع الذي يتطور إلى شغف بدراسة مستقلة. تعرض الدكتورة سالي بعض الأمثلة على ذلك باستخدام نموذج الإثراء المدرسيّ الشامل.

أسرار البقاء: دور الشغف في تطوير الموهبة

سالي ريز (*)

قريبًا، قضيت بعض الوقت أفكر في شأن مجالات الشغف، وكيفية تطوير الطلاب لها وتعريفها. وخلال السنوات القليلة الماضية، كنت على اتصال بكثير من الطلاب الموهوبين السابقين من منطقة المدرسة التي كنت أدرّس فيها، وكنت منسّقة برنامج موهبيها. شارك هؤلاء الشباب في برنامج الموهوبين في منطقتنا، الذي استند إلى نموذج الإثراء الثلاثي الأصلي لجوزيف رنزولي. فمثلًا، تلقّيتُ بريدًا إلكترونيًا من طالبة عملت معي في المدرسة الابتدائية ضمن برنامجنا الثلاثي للموهوبين، وقد أخبرتني في الرسالة أنّها أكملت رسالة الدكتوراه حديثًا في العلوم، وأنّ إحدى الجامعات دعته لإلقاء محاضرة في مجال تخصصها: الكيمياء الدوائية.

ابتسمت عند قراءة ملحوظتها؛ إذ كتبت لي موضحة أنّ المشروعات التي أكملتها في برنامجنا الثلاثي هي التي جعلتها ترغب في مواصلة البحث حتى تكمل الدكتوراه، وأضافت أنّها تعلّمت أن تكون متّقدة العاطفة بشأن عملها من خبراتها الأولى في عمل المشروعات وحلّ المشكلات خلال السنوات التي قضتها في إجراء دراسات النمط الثالث المستقلة.

وفي ثلاث حالات أخرى ذات صلة بالموضوع نفسه، سمعتُ من طلاب آخرين من هذه المدرسة الابتدائية، ممّن شاركوا في برنامج الموهوبين المخصوص بنا، ثمّ نالوا الشهادة

* سالي ريز أستاذة علم النفس التربويّ في جامعة كونيتيكت. تشغل أيضًا منصب كبير الباحثين في المركز القومي لبحوث رعاية الموهوبين والناخبين. عملت معلمة مدّة خمسة عشر عامًا، منها أحد عشر عامًا في العمل مع الطلاب الموهوبين. كتبت أكثر من مئة وثلاثين مقالة وألّفت تسعة كتب، وأربعين فصلًا في كتب أخرى، وكثيرًا من الدراسات والتقارير الفنيّة. ترتبط اهتماماتها البحثية بالطلاب الموهوبين والناخبين، إضافة إلى الطلاب ذوي صعوبات التعلّم، وبرامج الإثراء، وبرامج تطوير المواهب. شاركت مع جوزيف رنزولي في إعداد نموذج الإثراء المدرسيّ الشامل - المراجع.

الجامعية الأولى في الحقوق، ودرجة الدكتوراه في الإرشاد، والطب. فماذا تعلّمت من طلابي السابقين؟

لقد لاحظت أنهم كانوا يحرصون على اكتشاف اهتماماتهم، وتطوير عواطفهم طوال الوقت، وأنهم استكشفوا خلال سنّهم المبكرة اهتمامات الطفولة لديهم وتطويرها، ومن ثمّ امتزجت اهتماماتهم ومواهبهم الأكاديمية (عند الكبر) مع العمل، لتطال بعدها اهتمامات المجال المهني؛ ما مكّنهم من اكتشاف المسارات الأكاديمية في مجالات العاطفة، ثمّ ساعدتهم على إيجاد العمل في المجالات المهنية بوصفهم منتجين بالغين مبدعين.

تحدّثتُ إلى زميل لي عن هذا الموضوع طوال الوقت، وكنا مؤمّنين بأنّ طلابنا السابقين طوّروا شيئاً من عاطفتهم من جرّاء عملهم في برنامج الموهوبين. مثلاً، أثّرت اهتمامات النمط الثالث (في العمق) غالباً في تخصصاتهم وحياتهم المهنية. وفي مثال أفضل ذكره كثيراً، تابع زميلي أربعة طلاب ممّن عملوا في مشروع النمط الثالث ضمن البرنامج الثلاثي لإحدى المدارس الابتدائية. أعد هؤلاء الطلاب نموذجاً للهيكل العظمي لجسم الإنسان، وابتكروا وحدة تعلم قائمة على مشاهد مصوّرة لتدريس التشريح، صاحبت عرض الهيكل العظمي في الصفوف كلّها. كان الطلاب الذين عملوا في هذا المشروع شغوفين جميعهم بالتشريح. وقد علم زميلي، حديثاً، أنّ ثلاثة منهم أكملوا دراسة الطبّ، فعمد إلى مقابلتهم. حينها، أخبروه بأنهم يؤمنون بأنّ مشروع النمط الثالث الذي قاموا به مثل تدريباً مهمّاً ساعدتهم على زيادة الإنتاجية في وقت لاحق. وأنّ كثيراً من طلابي السابقين قد أسروا لي بأنّ مشروعات النمط الثالث التي نفّذوها أثّرت في مسيرة حياتهم اليومية، إضافة إلى حياتهم المهنية، وكانت أساساً لدافعيتهم والرغبة المتواصلة في النّتائج الإبداعية. وأضافوا أنّ هذه المشروعات التي تعتمد على الاهتمام عزّزت باستمرار سمات غير عقلية خاصة، مثل: الالتزام بأداء المهام، والفضول، والإبداع.

وبناءً على خبرتي المتواضعة في هذا المجال، فقد تبيّن لي أنّ الشغف يُطوّر - من خلال الدخول في مشروعات إبداعية - فرصة اكتشاف الاهتمامات المبكرة والاستفادة منها، وفرصة أن يصبح المشاركون في هذه المشروعات منتجين مبدعين، إضافة إلى فرصة حلّ المشكلات في مجالات الاهتمام الشخصي... تخيّل روعة العالم الذي سنسعد بالّفه إذا تمكّن الطلاب الموهوبون في العالم من اختيار المسائل والمشكلات المهمة (وهو الهدف

من إثراء النمط الثالث)، ومحاولة إيجاد حلول لها في حياتهم العملية. أعتقد أن ذلك كله ممكن في حال تمكّن الطلاب من تحديد اهتماماتهم وتطويرها واكتشافها، ثم العثور على العمل القائم على عاطفتهم.

سُبُل أُخْرَى لِتَطْوِيرِ الْمَوْهَبَةِ

للمرئيين دور فاعل في تطوير الموهبة، وكذلك أولياء الأمور حين يشاركون المعلمين في المعلومات المخصصة باهتمامات أبنائهم، ويسعون إلى تهيئة الفرص المناسبة لهم ليكونوا مع مَنْ يشاركونهم الاهتمامات والاحتياجات. مثلاً، ربّما لا تجد لاعبة الشطرنج التي تبلغ من العمر ثماني سنوات رفقاء من العمر نفسه يشاطرونها حبّ هذه اللعبة؛ سواء في الصّفّ أو في المدرسة. وقد تضطرّ الفنّانة الناشئة إلى البحث عن فصول تقوية بعد المدرسة أو أيام العطل لصقل موهبتها الفنّية وتطويرها؛ إذ يصعب على طفلة موهوبة أن تكون وحيدة بين أقرانها الذين لا يشاركونها في الموهبة والاهتمام نفسيهما. إن الأمر يستحقّ من أولياء الأمور بذل مزيد من الجهد في البحث عن رفاق لأبنائهم، يشاركونهم في الاهتمامات نفسها، ما يساعدهم على متابعة هؤلاء الأبناء، وإدراك أنّهم يرغبون في محاكاة ما يجيئون فعله أيضاً. يُذكر أنّ المُعسّكرات الصّيفيّة العلميّة والفنّية تهيئ فرصاً للطلاب كي يجدوا شباباً/ صغاراً يشاركونهم في الاهتمامات والأهداف نفسها.

في المقالة اللاحقة، تبينّ الخبيرة رينا سوبوتنيك Rena Subotnik أنّ تطوير الموهبة لا يحدث تلقائياً، بل نتيجة المتابعة والعمل الدؤوب.

أسرار البقاء: تدريب القوّة التّفسيّة وتطوير الموهبة

(*) رينا سوبوتنيك

اكتشف أبراهام تانينبوم Abraham Tannenbaum عام 1962م أنّ بعض الطلاب كانوا يعجبون بزملاء الدّراسة (المتألقين)، ما داموا يُظهرون براعة فائقة في ميادين

* الدكتورة رينا سوبوتنيك Rena Subotnik، خبيرة في تربية الموهوبين وعلم النفس، ومؤلفة لكثير من الكتب والبحوث في هذا المجال. في عام 2002، حصلت على جائزة الجمعية الوطنيّة الأمريكيّة للأطفال الموهوبين. وهي عضو جمعية البحوث التّربويّة الأمريكيّة- المراجع

الرياضة ويناؤن بأنفسهم عن الدراسة والتعلم. بعبارة أخرى، إن هؤلاء الرياضيين لم يظهروا فعلاً أنهم يبذلون جهداً لتحقيق تألقهم هذا.

بعد انقضاء خمسين عاماً على هذه الحادثة، تبين أن مفهوم التألق العفوي يقود كثيراً من الأطفال القادرين إلى تجنب مواجهة التحديات التي تتطلب عملاً إضافياً؛ لتجنب الظهور كآلة فاقدة العقل. وقد استنتجت مع زملائي بعض مفاتيح هذا اللغز من عالمي الموسيقى الراقية والرياضة النخبوية، فكلا المجالين يؤكدان على ضمان تلقي الأطفال والشباب من ذوي المواهب الكامنة مهارات جسدية جيدة وتدريباً فنياً، فضلاً على الممارسة المميزة في المهارات العقلية.

بعد انقضاء خمسين عاماً على هذه الحادثة، تبين أن مفهوم التألق العفوي يقود كثيراً من الأطفال القادرين إلى تجنب مواجهة التحديات التي تتطلب عملاً إضافياً؛ لتجنب الظهور كآلة فاقدة العقل. وقد استنتجت مع زملائي بعض مفاتيح هذا اللغز من عالمي الموسيقى الراقية والرياضة النخبوية، فكلا المجالين يؤكدان على ضمان تلقي الأطفال والشباب من ذوي المواهب الكامنة مهارات جسدية جيدة وتدريباً فنياً، فضلاً على الممارسة المميزة في المهارات العقلية.

يسعى الرياضيون والموسيقيون جاهدين لتحقيق مظهر الارتياح والنفوية. ومع ذلك، فإنهم يعرفون أن الوصول إلى هذه المرحلة يتحقق بالممارسة الموجهة والجهد المتواصل. ولكن لسوء الحظ أن مثل هذه الدروس لم تطبق على نطاق واسع في الصفوف التي تحوي النخبة من المتموقين أكاديمياً.

قد يتبادر إلى روع القارئ السؤال الآتي: ما المهارات العقلية التي يتشارك فيها المدربون مع الرياضيين والموسيقيين؟ يوجد هنا رسالة رئيسة؛ هي وجوب النظر إلى المحنة بوصفها جزءاً من (اللعبة)، وجزءاً من الحياة.

بدايةً، لا ينبغي لك أن تسمح للعواصف والكروب بهز أعصابك كثيراً، بل يتعين عليك الاستفادة منها، وجعلها حافزاً إلى التحسن في المرة المقبلة.

ثانياً، يكون الرياضيون والموسيقيون أكثر إنتاجاً إذا قارنوا جهودهم الرهانة بأدائهم السابق، بدلاً من مقارنتها بجهود الآخرين، وسعوا دائماً إلى الوصول إلى الأهداف الشخصية المنشودة.

في المعاهد الموسيقية، تختلف تدريبات المهارات العقلية باختلاف مستويات خبرات الطلاب. فمثلاً، يتعين في المراحل المبكرة من التدريب المهني، حفز الموسيقيين المبتدئين ودعم رغبتهم واستعدادهم للتدريب فيما يُصنّفه مُعلّموهم نقاط ضعف في نظرهم؛ حتى عندما يتلقون مديحاً نظير أدائهم ساعة التحاقهم بالمعهد. وفي حال أحرز الطلاب درجة من الخبرة، فإنّ المعلمين يتوقعون منهم تحمّل مزيد من المسؤوليات؛ لتحديد نقاط القوة والضعف عندهم، وسُبل التعامل معها. وفي مراحل تطوير الموهبة الأكثر تقدماً، يستفيد الفنانون الموسيقيون الناشئون من نقاط قوتهم، ومن علاج نقاط الضعف عند الحاجة. ومع كل مرحلة متقدمة، يجب أن يمارس الطلاب قدرًا متزايدًا من المسؤولية، وخوض غمار المخاطرة في سبيل تطوير القدرة إلى كفاية، فخبرة، فبراعة فنيّة.

يُذكر أنّ المدربين المتخصصين والمعلمين في المعاهد الرياضية والموسيقية يزودون الطلاب ببعض الإرشادات والتوجيهات المتعلقة بهذه المهارات العقلية، أو ما نسميه (تدريب القوة النفسية)، ويستطيع معلمو الصّف إتمام بعض من هذا الدور بالثناء والمديح؛ إذ يمكنك مجاملة الطلاب لخوض مخاطرة فكريًا، ومعالجة مهاراتهم الضعيفة بقوة، وتقبُّل النجاح بكياسة، وتقبُّل إنجازات الآخرين بروح رياضية. أمّا الأمر الأكثر أهمية، فهو أن يتمثّل المعلمون هذا التعامل على أرض الواقع، ويعوا حقيقة أنّ الأيام دُول؛ تحمل في ثناياها كثيرًا من الصّعب والانتكاسات كما الإنجازات.

ختامًا، فإنّ مبادئ تدريب القوة النفسية تستند إلى العلوم الجيدة، وتعمل على تحسين إنتاجية الطلاب وإنتاجيتك أنت أيضًا.

دراسة بنيامين بلوم في تطوير الموهبة

في تطوير الموهبة، من المهم أن نكتشف الاهتمام، ثم متابعة عملية تطوير الموهبة بعد ذلك وفقًا لأساس مستمرّ. وفي دراسته عن تطوير المواهب بين الشخصيات البارزة دوليًا، قال بنيامين بلوم (1985) Bloom العبارة الآتية:

«لا يُعدّ النّضج المبكر للفرد (في سنّ العاشرة أو الحادية عشرة) مهمًّا جدًّا إذ الم يواصل تطوير موهبته على مدى سنوات عدّة؛ إذ سرعان ما يسبقه الآخرون القادرون على المواصلة. وبذا، فإنّ الالتزام الطويل الأمد في مجال الموهبة، والعاطفة المتزايدة لتطويرها، أمران

ضروريّان لتحقيق أعلى مستويات القدرة في المجال. صحيح أنّ الموهبة الطّبيعيّة والاهتمام الشديد يمثّلان نقطتي البداية في تطوير الموهبة، لكنّ الالتزام على المدى الطّويل هو الذي يؤدي إلى استمرار التّقدّم في أيّ مجال من مجالات الموهبة.

عبّر بلوم بوضوح عن المسألة المخصوصة بضرورة حصول الشّاب على فرص مستمرة لتطوير أيّ موهبة يمتلكها، وإلاّ فإنّه لن يبارح مكانه، ولن يكون بمقدوره مجاراة أقرانه المعنّيين بالموضوع نفسه. وبعبارة أخرى، إذا لم يلتصق الطّالب بمجال الموهبة، فإنّه لن يطور إمكاناته كاملة.

دراسة مالكوم جلاذويل حيال تطوير المواهب

أشار مالكوم جلاذويل (Malcolm Gladwell, 2008) في كتابه واسع الانتشار (الناشزون: قصة نجاح) The Outliers: The Story of Success إلى أنّ الإنسان يحتاج إلى عشرة آلاف ساعة من الممارسة في مجال ما من مجالات الموهبة لكي يكون مستوى أدائه مُميّزًا، وما اكتشف الموهبة إلاّ نقطة البداية فقط في تطوير الموهبة. وأضاف قائلاً: «إنّ ما يميّز تاريخهم حقاً ليس موهبتهم الاستثنائيّة، بل فرصهم الاستثنائيّة». وأشار إلى أنّ المعلّمين يستطيعون مساعدة الشّباب الموهوب على اقتناص الفرص اللّازمة لتطوير مواهبهم.

إعادة تعريف الجمعية الوطنيّة الأمريكيّة للأطفال الموهوبين (NAGC) لمفهوم الموهبة

أصدرت الجمعية الوطنيّة الأمريكيّة للأطفال الموهوبين بياناً عام 2010 بعنوان (إعادة تعريف الموهبة لقرن جديد: تغيير النّمودج الفكريّ Redefining Giftedness for a New Century: Shifting the Paradigm) وأضاف ذلك محوراً في تطوير الموهبة إلى علم المصطلحات الفنيّة في تعليم الموهوبين (انظر الموقع الإلكترونيّ الآتي: <http://www.nagc.org/index.aspx?id=6404&terms=Redefining+giftedness>)

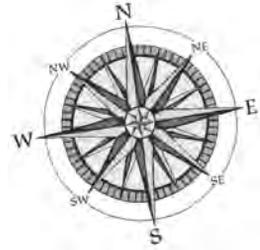
«إنَّ تطويرَ القدرة أو الموهبة عمليةٌ مستمرَّةٌ مدى الحياة، وقد تكون جليَّةً عند الأطفال الصَّغار بصورة أداء استثنائيٍّ في الاختبارات و/ أو القياسات الأخرى للقدرة، أو سرعة التَّعلُّم مقارنة بالطلَّاب الآخرين من العمر نفسه، أو بإنجاز فعليٍّ في مجال ما. وكلِّما نضج الأفراد بانتقالهم من مرحلة الطَّفولة إلى المراهقة، أصبح الإنجاز والمستويات العالية من التَّحفيز في أحد المجالات السِّمةً الأساسية لموهبتهم، ويمكن لمجموعة عوامل مختلفة أن تعزِّز تطوير القدرات، أو التَّعبير عنها، أو تكبحها».

الخلاصة

لِمَ يجدر بك الاهتمام بتطوير المواهب؟ إنَّ الأسباب الموجبة لذلك كثيرة. ولكن، لنبدأ بواحدٍ منها على قدر كبير من الأهمية، فأنت تصنع مستقبلك حين تضمن حفز الأطفال الموهوبين على نحوٍ مناسب، وتعلِّمهم كيفية تفعيل طاقاتهم وتحقيق إمكاناتهم.

نصائح من أجل البقاء:

- ينبغي للمربين إدراك أهمية الدور الفاعل لمستكشف المواهب.
- يتعيَّن على أولياء الأمور معرفة أنَّ المواهب الأكاديميَّة والفنيَّة تتبع نمطًا مشابهًا للمواهب الرياضيَّة، وأنَّ اهتمام الأطفال الموهوبين قد يبدأ مبكرًا قبل أقرانهم من العمر نفسه في الغالب. ومن ثمَّ، فإنَّ هؤلاء الأطفال في حاجة إلى المعلمين الذين قد يساعدهم على تطوير مهاراتهم، بحيث تبلغ مستوياتها العليا طوال مدَّة الدِّراسة، علمًا بأنَّ مستويات التَّعلُّم والأداء لا ترتبط بسنِّ الشَّاب أو فئته العمريَّة.



حقيبة أدوات المعلم للبقاء في الميدان

- (Bloom, B. S. 1985). Developing talent in young people. New York, NY: Ballantine.
 - (Csikzentmihalyi, M., Rathunde, K., & Whalen, S,1996). Talented teenagers: The roots of success and failure. New York, NY: Cambridge University Press.
 - (Jarvin, L., & Subotnik, R. F., 2005). Understanding elite talent in academic domains: A developmental trajectory from basic abilities to scholarly productivity/artistry
 - (Neihart, M., 2008). Peak performance for smart kids: Strategies and tips for ensuring school success. Waco, TX: Prufrock Press
 - (Van Yperen, N. W., 2009). Why some make it and others do not: Identifying psychological factors that predict career success in professional adult soccer. The Sport Psychologist, 23, 317–329
-